التأثيرات الحضارية لجالية التجار العرب المسلمين في الدولة البيزنطية في القرنين الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد

د. طه خضر عبيد (*)

المقدمة:

يعد التفاعل بين الحضارات أمر لا بد منه، والحضارة العربية الإسلامية من الحضارات الشاملة التي تأثرت بها شعوب مختلفة، وأسهمت بدور كبير ومشرق في سير الحضارة الإنسانية.

ظهرت دراسات عدة تناولت الحضارة العربية الإسلامية، تأثرها وتأثيرها في الحضارات الأخرى، وفي كلتا الحالتين، هو عنصر قوة فيها (**)، ولقلة

(*) مدرس / قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة الموصل

(**) كرونيباوم، جوستاف و آخرون: حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مكتبة نهضة مصر، (القاهرة، ١٩٥٦).

متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٦٧)، جزئين.

واط، مونتكمري: اثر الإسلام على أوربا، ترجمة عادل نجم عبو، مطبعة جامعة الموصل، (الموصل، ١٩٨٢).

عثمان، فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٦٦) ثلاثة أجزاء.

الشاعر، محمد فتحي: الصلات الحضارية بين بيزنطة والمشرق العربي في القرنين الثامن والتاسع للميلاد، المطبعة الفنية الحديثة، (بورسعيد، ١٩٨٩).

الدراسات التي عالجت تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الدولة البيزنطية، أو تناولها بشيء من العمومية، ولأهمية مثل هذا الموضوع. جاء اختيار موضوع التأثيرات الحضارية لجالية التجار العرب المسلمين في الدولة البيزنطية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، دون الخوض في أساليب التأثيرات الأخر، والاقتصار على جالية التجار.

والهدف من هذا البحث المتواضع، هو محاولة إلقاء بعض الضوء على تأثيرات هذه الجالية ولإعطاء الجانب الحضاري القدر الذي يستحقه من الدراسة والاهتمام.

وبعد لابد من توضيح مصطلح الجالية[1]، ونقصد به هنا: كل التجار العرب المسلمين الذين انتقلوا من الدولة العربية الإسلامية و أقاموا في الدولة البيزنطية، إقامة دائمة، أو مروا بأراضيها و أقاموا إقامة مؤقتة، خلال قرنين من الزمان. وقد تناول الموضوع، موقف بيزنطة من الحضارة العربية الإسلامية، وجالية التجار، وأشكال تواجدها، وتأثيرها الحضاري.

واسأل الله العلي العليم، أن أكون موفقا في تقديم إضافة متواضعة في هذا البحث، والله ولي التوفيق.

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، إعداد يوسف خياط، دار اللسان العربي، (بيروت. د. ت). ص٤٩١.

١. موقف الدولة البيزنطية من الحضارة العربية الإسلامية:

وصلت الحضارة العربية الإسلامية في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، أوج عظمتها وانبعاثها في جميع جوانب الحياة، واحتلت هذه الحضارة مركز الصدارة بين حضارات العالم آنذاك، ليس على مستوى المساحة التي غطتها فحسب، بل الرقي والتطور الذي شهدته(٢). ولم يكن أمام الدولة البيزنطية مفر من الاعتراف بأنها أمام حضارة عربية إسلامية، لا تقل أصالة عن الحضارة البيزنطية، بل تفوقها الكثير في فترة القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. لوجود اكثر من قناة اتصال بينهما، وينطبق في هذا المجال افتراض ورنر كسكل عندما يقول: " ينبغي توفر شرطين لتكون حضارة ما على استعداد لمجرد قبول المؤثرات، الأول شعورها بأنها أحط من غيرها وحاجتها إلى ما لدى الأمة الأخرى، والثاني، وجود اتصال في اكثر من موضع خلال فترة كافية من الزمن"(٣).

والواقع إن الدولة البيزنطية حرصت كل الحرص على إقامة علاقات طيبة مع الدولة العربية الإسلامية تجنبا لويلات الحروب. التي كان النصر في اغلبها للجيوش العربية الإسلامية، بخاصة في القرنين الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد، ويبدو من موقف بيزنطة تجاه الحضارة العربية الإسلامية، انه تميز بالانتقاء منها وبشكل حذر، ومن المؤكد إن هناك جذورا لمثل هذا الموقف:

---

(٢) آدم متز، المرجع السابق، ج١.

(٣) كرونباوم، بي، اي، فون: الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، ترجمة صدقي حمدي، دار المثنى، (بغداد، ١٩٦٦)، ص٤٨١.

١. سياسة الدولة البيزنطية تجاه الدولة العربية الإسلامية، التي انتصرت وحررت الشام ومصر وشمال أفريقيا في القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد، من الدولة البيزنطية، وترى بيزنطة، أن العرب قد سلبوها أغنى واهم ولاياتها، وبقيت تراودها فكرة استعادة هذه الأقاليم، وحاولت مرارا حتى أثبتت فشلها في القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد، وعادت مرة أخرى في نهاية القرن الرابع للهجرة / العشر للميلاد إلى محاولة تحقيق أحلامها، ويتضح من ذلك غلبة الطابع الحربي بين الطرفين.(٤)

٢. طبيعة المذهب الديني البيزنطي، المتذبذب بين الأيقونية واللاايقونية في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد(٥).

٣. النظام السياسي البيزنطي، وموقفه السلبي من العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية، لكي يسود التخلف الذي تريده الكنيسة والإمبراطور معا(٦).

ويبدو من استعراض العلاقات بين الدولة العربية الإسلامية والدولة البيزنطية خلال هذه الفترة، إن العداء السياسي والديني الذي كان ظاهرة دائمة، وان الحروب مستمرة، لم تقطع أو تسد أي مجال للعلاقات الحضارية بينهما، وتميزت فترة القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، بحروب وصراع مستمرين، تخللتها فترات من الصلح والسلم، مما أدى إلى وجود نوع من العداء

---

(٤) الخربوطلي، علي حسني: الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم، (بيروت، ١٩٧٠)، ص١٢، ٢٧.

(٥) فرج، سالم عبدالعزيز: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ٣٢٤ ـ ١٠٢٥ م، دار المعرفة الجامعة، (الإسكندرية، ١٩٨٧)، ص١٧٤ـ ١٧٨.

(٦) ن. م. ص٢٠٨.

والصداقة بينهما[٧].

غير أن الأهم، إن الدولة البيزنطية كانت أحد الأطراف التي انبهرت بحضارة العرب المسلمين وتأثرت بها، وكان لجالية التجار العرب المسلمين دور رئيس في الاتصال والتأثير، فهذه الجالية إما كانت تقيم بصورة مؤقتة في الدولة البيزنطية. بحجم وطبيعة معينة، لها صفة اختيارية، أو بصورة دائمة، رسمت خيوطها ونظمت حركتها ودورها في الاتصال والتأثير الحضاري، بما تركته من آثار حضارية ومظاهر نقلتها إلى الدولة البيزنطية.

٢. جالية التجار وأشكال تواجدها

شهد القرنين الثالث و الرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، نشاطا تجاريا ملحوظا بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية، وكان التجار العرب المسلمون يشكلون الغالبية من جنسية التجار الأجانب - الإيطاليين والبلغار والخزر والروس والارمن الذين تعاملوا مع الدولة البيزنطية[٨]. واتسمت سياسة بيزنطة التجارية بالتشدد تجاه الاجانب من حيث الدخول والخروج والاقامة لاسباب سياسية وأمنية، غير أنها عاملت تجار الدولة العربية الإسلامية، برعاية خاصة ومعاملة حسنة، وأشعرتهم بالأمان ورحبت بهم، كل ذلك دفع هؤلاء التجار إلى مداومة التجارة إلى الدولة البيزنطية[٩].

---

(٧) عن العلاقات السلمية، ينظر، صفر، نادية حسني: السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، دار الندوة، (بيروت، ١٩٨٥).

(8)Lopez. R. S. Medival Trade in the Mediterreanan world, (New York, 1955). pp. 20-40.

(9)Leo VI. Eparkhikon Biblion, ed. H. I. Zepon, (Athenes, 1931), V: 2.

وعبرت بيزنطة عن معاملتها الحسنة للتجار العرب المسلمين في تصريف السلع التجارية من حيث القواعد التي ضمنت لها ذلك، والتي اقتضت بيع جميع السلع، مهما كانت جودتها وكمياتها، وإذا رفضت البيوت التجارية البيزنطية بعضا من السلع العربية فان والي المدينة العاصمة القسطنطينية.

" The Prefect of city of Constantinopole " ، يأمر بتحميل تلك السلع المتبقية في الأسواق لتباع بطريقة ملائمة(١٠)، ولا نجد مثيلا لهذه المعاملة البيزنطية مع التجار الأجانب الآخرين، الذين يعودون ببضائعهم إلى بلادهم، إذا لم يتم بيعها في الدولة البيزنطية، فضلا عن أن بيزنطة قد حددت مكان الإقامة للتجار العرب المسلمين في العاصمة في حي، سمته المصادر البيزنطية باسم " Mitata Embolo "، وهو خان كبير، يحق لهم الإقامة فيه مدة ثلاثة اشهر متواصلة(١١).

أما في الأقاليم البيزنطية الأخرى، فلم تطبق أية شروط مشددة تجاه التجار الأجانب بوجه عام، والعرب بوجه خاص، بل اتسمت بالحرية التجارية، وكان على التاجر العربي المسلم أن يدفع ضريبة كمركية ثابتة عند نقاط الحدود البيزنطية وهي ١٠٪، وهو تعامل بالمثل بين الدولتين العربية الإسلامية و البيزنطية(١٢).

ويبدو من استمرار تجارة الدولة العربية الإسلامية إلى بيزنطة، إن هناك

لومبارد، موريس: الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر، ١٩٧٩)، ص٣٢٩.

(10)Leo VI, op. cit. v: 5.

(11)Ibid, V: 2.

(12)Christophilopolou, Aik, Byzantine History, 867- 1081, (Athenes, 1988), vol: 3, p. 392.

عوامل أنضجت مثل هذا التعامل الحسن مع جالية التجار العرب المسلمين دون غيرها، ومن هنا يأتي بعض التأثير الحضاري :

- رقي السلع التجارية التي نقلتها هذه الجالية، وجودتها واشتهارها. فضلا عن سعة النشاط التجاري بالقياس إلى الأمم الأخرى، حيث بلغ عداد السلع هذه اكثر من أربعين سلعة من المنسوجات والبخور والبهارات والعطور والأصباغ والسلع الكمالية.(١٣)
- الإقبال البلاطي والأرستقراطي على بعض السلع المنتجة في الدولة العربية الإسلامية، لا سيما الكمالية منها.
- حاجة الدولة البيزنطية للسلع العربية الإسلامية والشرقية – الهندية والصينية– التي جلبتها هذه الجالية، والتي كانت سلعا ضرورية لبيزنطة(١٤).
- طبيعة هذه الجالية في التعامل التجاري، وسلوكها الحضاري، وبذلك نقلت تقاليد المجتمع العربي الإسلامي في نبضته إلى الدولة البيزنطية، بعكس الجاليات الأجنبية من البلغار الروس والخزر والارمن والايطاليين والتي تعاملت معها بيزنطة بحذر وبشدة(١٥).

لا يمكن الحديث بأرقام وإحصائيات عن حجم جالية التجار العرب المسلمين في الدولة البيزنطية، أو ذكر أسماء التجار، لعدم توفر ذلك، غير انه يمكن إعطاء

---

(13)Rice, T. T. Every day life in By zantium, (Athenes, 1986), p. 170.

(14)Lopez, R. S., "Silk Industry in the Byzantine Empire. " In Speculum, 20, (1945), p. 30

(15)Leo VI, op. cit. IX: 6.

Toynbee. A., Constantine Porphyrogentus and his world. (London, 1973), p.64

صورة واضحة عن طبيعة وشكل هذه الجالية من خلال الاعتماد على المصادر البيزنطية المعاصرة لهذه الفترة، فقد أشارت هذه المصادر، عن جذب العاصمة القسطنطينية، لجالية كبيرة من التجار العرب المسلمين، التي استقرت هناك، وسمتها هذه المصادر بـ "السوريين "(١٦)، هذه التسمية كما وضحها السعودي: " لان الروم يسمون البلاد التي سكانها المسلمون في هذا الوقت – زمن السعودي الذي توفي سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م، من الشام والعراق، سوريا "(١٧). وكانت هذه الجالية تمارس التجارة في القسطنطينية، وتقيم في " حي خاص بها كان لها مسجد فيه، ويقع بجوار كنيسة سانت ايرين، و أمضى بعض تجار هذه الجالية اكثر من عشر سنوات، زمن ليو السادس ٨٨٢-٩١٢م(١٨)، وكان يحق لهم العمل التجاري والانتماء إلى النقابات التجارية "(١٩)، فضلا عن هذه الجالية، فقد كان تجار العرب المسلمون يقيمون فترة قصيرة عند مرورهم في العاصمة كما مرّ توضيحه.

ولم يقتصر وجود جالية التجار العرب المسلمين على العاصمة فحسب، بل كان لها حضور في المدن البيزنطية الأخرى، لا سيما تلك التي تقام فيها معارض الأسواق السنوية- الأسواق الموسمية – التي تبدأ في ١٥ أيلول من كل عام، وتستمر لمدة خمسة عشر يوما، ومن اشهر المدن التي إقامة فيها جالية عربية، طرابزون –

(16)Leo VI, op. cit. V: 4.

(١٧) المسعودي، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي: التنبيه والإشراف، دار التراث، (بيروت، ١٩٦٥)، ص١٦١.

(18)Lopez. R. S. Byzantium and the world around it, Economic and institutional Relations, (London, 1978), p. 343.

لومبارد موريس، المرجع السابق، ص٣٣٨.

(19)Leo VI, op. cit, V: 4.

طرابزندة Trabezun،التي تقيم فيها" اكبر جالية عربية في الدولة البيزنطيـة."[٢٠]، وكذلك في مدن غصطوبلي Gastaboli [٢١]، ولاموس Lamos [٢٢]، وبثينة Bythena [٢٣]، ومعدن النحاس Nuchas [٢٤] ، وافسوس Aphsos [٢٥]، وسلوقية Seleucia [٢٦]، وارذانوزن Ardanoutzin [٢٧]، وفي مدينة أثينا Athenes [٢٨]. فضلا عن انتقال التجار العرب المسلمين إلى المدن الحدودية

---

(٢٠) ادم متز، المرجع السابق، ج١، ص٣٧٤، وعن التجار العرب المسلمين وذهابهم إلى الأسواق الموسمية في طرابزندة ينظر:

المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، (بيروت، ١٩٨٢)، مجلد٢، ص١٥١.

المقدسي، أبوعبدالله محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق دي خوبة، بريل، (ليدن ١٩٠٦)، ص١٤٩.

(٢١) المسعودي ، المصدر السابق، ص١٦٧. وتقع مدينة غصطوبلي في بند الاناتوليك قريبا من الثغور العربية .

(٢٢) لومبارد، المرجع السابق، ص٣٣٩. وتقع مدينة اللامس على نهر اللامس الذي يتم فيه نداء الأسرى.

(23)Canard. M., " Les Relations Politiqes Sociales enter Byzance at les Arabs. " In Dumbarton Oaks papers, 18, (1964). p. 53.

وتقع مدينة بيثنا في بند الاسبيق.

(٢٤) المقدسي،المصدر السابق، ص١٥١، وتقع مدينة معدن النحاس بالقرب من مدينة خرشنة .

(25)Theophanes: Chronographia. ed. de Boor. (Lepzek, 1883). vol:1 p. 463.

وتسمى سلوقية اليوم بمدينة سفلكة التركية .

(26)Leo VI op. cit. V: 1.

(27)Porphyrogenties, K. (913-959), De Aadministrando Imperio, ed. Moravcsik. G., (Washington. 1985), p. 216.

(28).Rice T.T, op. cit. p. 170.

وجدير بالذكر إن معظم تجار الجالية العربية الإسلامية في الدولة البيزنطية كانوا من العراق وسورية ومصر

القريبة من منطقة الثغور العربية، مما شجع ووسع التجارة، وفتح منافذ مهمة للاتصال الحضاري بين الطرفين.

٣. التأثيرات الحضارية لجالية التجار

كانت التجارة وجه من اوجه الحياة السلمية المدنية، مما أدى إلى تمازج حضاري وثقافي خصب ومثمر، يزيده قوة، العصر الذهبي العباسي ١٣٢_٢٤٧هـ/ ٧٥٠_٨٦١ م، أول الأمر ونهضة العرب الحضارية في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد، وبداية العصر الذهبي البيزنطي في الفترة الأولى من عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧_ ١٠٢٥م ثانيا، وكان الأخير، أهم أسبابه ودوافعه الاتصال بالعرب المسلمين والتأثر بهم[٢٩].

وبرز دور جالية التجار العرب المسلمين وأثرها الكبير في هذا الاتصال، عندما، نقل التاجر العربي المسلم معه، أبهة الحضارة العربية الإسلامية والتطورات الحاصلة في المجتمع، وما رافقها من مظاهر الحياة الأخرى بشكل قصص وحكايات، أو مادة تجارية راقية، أو سلوك ، وبما أن الرحلة التجارية تتطلب من التاجر التوقف في الأقاليم البيزنطية، بالنسبة للتجار المتنقلين، وتستوجب قيام علاقات بين التاجر وسكان الأقاليم المار بها[٣٠]. فان حصيلة هذه العملية، هي تصريف السلع التجارية والاحتكاك بالبيزنطيين، ومن هنا كان التأثير الحضاري،

Lopez, R.S., Silk…op.cit. p. 29-30.

(٢٩) محمود حسن احمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص٢٠٢.

(٣٠) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٧٩)، ص١٧٩، ٢٩٣.

ومما يزيد من إمكانية التأثير الحضاري للتاجر العربي المسلم انه صنف، على انه من النوع الذي اكتملت فيه صفات التاجر الحضاري ، والذي كان اشهر تجار العالم من " القرن السابع حتى الحادي عشر الميلادي، لاتساع نطاق نفوذ العرب المسلمين، ولاعتبار التجارة أمرا حيويا."(٣١).

وكما يرى ادم متز انه "التجارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، كانت مظهرا من مظاهر أبهة الإسلام، وصارت هي السيدة في بلادها.(٣٢)"

لقد أشارت المصادر البيزنطية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، إلى جوانب التأثيرات الحضارية لجالية التجار العرب المسلمين، والتي تفوق ما تركته أية جالية أخرى في الدولة البيزنطية،ومن هذه الآثار:

١. في الجانب الاقتصادي:

يعود الفضل لجالية العرب المسلمين في استمرار انسيابه السلع العربية والشرقية، والتي تحسنت أوضاع بيزنطة الاقتصادية من خلالها، فضلا عن تطوير هذه الجالية لنظم بيزنطة الاقتصادية في ظهور نقابتين تجاريتين كل أعضائها من العرب، مقرهما العاصمة، وهي نقابة الحرير العربي Prandipratoi، ونقابة

ونستنج من اتفاق التاجر البغدادي بن رزق الله مع أحد البيزنطيين في قريته، بتزويد الأسرى بالأغطية والأكسية مقابل أن ينفق التاجر على أحد الأديرة في الدولة العباسية، نوع من أشكال العلاقات بين التاجر وسكان الاقاليم البيزنطية، ينظر:

التنوخي، ابو علي الحسن بن علي: نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي (د. م. ١٩٧١) ج ١ / ص٥٦.

(٣١) يونغ، لويس: العرب واوربا، ترجمة مشيل ازرق، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٩)، ص٥٧.

(٣٢) ادم متز، المرجع السابق، ج١، ص٣٧١.

العطور والأصباغ والمرهم Myrepsoi, Vaveri (٣٣) وقد اختصتا بالسلع القادمة من الخلافة العباسية، والتي سمتها المصادر البيزنطية بـ " السورية والبغدادية "(٣٤).

والجدير بالذكر انه لا يحق للأجانب واليهود الانتماء إلى النقابات الثلاث والعشرين في العاصمة عدا العرب والى هاتين النقابتين فقط.

٢. في الجانب اللغوي:

تعطينا بعض أسماء السلع التي جلبتها هذه الجالية، واختصت ببيعها النقابتين ألانفتي الذكر، دليلا على تسرب تسمياتها العربية إلى اللغة البيزنطية " اليونانية " ومنها على سبيل المثال، المنسوجات الحريرية "Hareria=Xapєρξiα" أي الحرير، وهي إما ملابس داخلية تسمى " Sofara= Eδwφópia " أي سفور، و" Abayah =Auδia ". أي عباءة، وهي ملونة بلون الطيف " Mofalfal, foulfoul or filfil = Qoupouλia" أي ذات أكمام مفلفل، واثواب بغدادية عتابية ذات نسج رفيع " Super Baghdadi = Ψ iλa Bagdadika " ومدون باسم Kommiya = Xaλλia (35).

وبخصوص البغدادي، العتابي، فقد تغنى به الشعراء والناس في بيزنطة،

(33)Leo vl, op. cit. v: 1,4.

(34)Ibid., v: 4.

Christophitopolou, A., Eparkhion Biblion and the Guilds in Byzantium, (Athenes, 1935), p. 82.

(35)Leo VI, op. cit. v:2.

Freshfieid. E. H., Roman law ein the later Roman cmpire, (Cambridge, 1938).

وصفوه وصفا رائعا، محددين أنواعه، ومن يلبسه، وطبقته الاجتماعية، ونذكر هنا بعض الأبيات الشعرية المتناثرة، والتي كانت من باب وصف الملابس في الدولة البيزنطية[٣٦].

- هذا يسمونه عتابي، ليكن لديك قطع منه
  انه مدهش، إن اشتريت – فاشتر قطعا حمراء، خضراء
  سماوي، صفراء، لكن أرقاها النيلي
- حتى يقولوا عنك، انك سيد المدينة، ومن الأشراف
  اشتر عتابيك هذا، الذي تتفاخر به
  وسوف يقولون عنك، انك شاب محترم، ومن مدينة نقية (***)
- احصل على عتابيك، لكي يقال عنك أرستقراطي
- وحصلت على ملابسي المنسوجة من البغدادي النقي
- والبس ملابسي البغدادية.

ومن المنسوجات الحريرية والقطنية الأخرى التي انتقلت أسمائها العربية إلى بيزنطة، قمصان بلون البحر، ابيض أو ازرق أو سماوي Thalasa = θαλασσα "[٣٧] الذي يعني البحري باليونانية وتسميته البحري، عربية

(36)p.29. Kokole', ph., The Byzantin life and Civiiizantion, (Athenes, 1957), vol: 5, p. 269.

(***) مدينة نقية " Nicaea " تبعد ستين ميلا جنوب القسطنطينية، وهي من المدن الدينية والسياسية المهمة، وكان لها علاقة بالعرب المسلمين عندما ظهرت فيها الحركة اللايقونية ضد عباد الصور، انظر، سالم عبدالعزيز فرج، المرجع السابق. ص١٧٨.

(37)Leo VI, op. cit. v:2

صرفة كما يراها مؤرخو بيزنطة، وجاء ذكره لأول مرة زمن ليو السادس ٨٨٢-٩١٢م وتغنى به شعراء بيزنطة، ومنهم من قال[٣٨]:

إن البحري الذي جلبته لي، اعرفه، ولا بد من شرائه

هذا المنسوج هو من القطن، وانه رفيع المستوى

أما الزبون المعروف بالقفطان العربي Arabic Keftani = Κεφτανι فجلب من جزيرة كريت[٣٩]، واخيرا كان الدمسقي Damasks والموسلين[٤٠] Moslin. ويرى المؤرخ Ph. kokol ان " الملابس البيزنطية، كان جزءا منها بتأثير الآخرين عبر العصور، فكان تأثير المشرق العربي من انطاكيا وبيروت ودمشق وبغداد واضحا"[٤١].

وبخصوص السلع التجارية الأخرى من الفلافل والبهارات والعطور والأصباغ، فقد حملت أسماءها العربية معها وانتقلت إلى بيزنطة وعلى سبيل المثال: عود الند " Alae " والعنبر Amber والمر Mor والمسك Meska والزعفران Safaran والنيلة Anilin وغيرها[٤٢]. وكان الفن البيزنطي هو الآخر قد تأثر وتطور بفضل جالية التجار، لان الألوان والأصباغ التي حملها التجار دخلت في تفاصيل هذا الفن وطورته، لا سيما في انفن التشكيل البيزنطي،

---

(38)kokole', op.cit. voi:5. p.280, 282

(39)Kondacov. N., " Les Costumes Orientaux ala' courByzantine.", In Byzantion. 1. 35

(٤٠) العبيد، طه خضر: العلاقات التجارية بين الخلافة العباسية والامبراطورية البيزنطية، (٧٥٠- ٩٦٩م). رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة اثينا ١٩٨٨)، ص١٠٠.

(41)Kokole'. op. cit, p. 277

(42)Leo VI, op. cit. x:1

وفي تصوير الأيقونات وقادة العرب المسلمين في كنائس بيزنطة، دون أن تعلم بيزنطة بذلك أول الأمر(٤٣).

وانتقلت عن طريق جالية التجار الذين استقروا، مظاهر وتأثيرات أخرى، وساهمت معها بقية أطراف الاتصال من أسرى وسفارة بين العرب والبيزنطيين، فقد أكدت ذلك التنقيبات الأثرية والدراسات الأكاديمية، ومنها نقوش على الأبنية بالخط الكوفي، عثر عليها في أثينا – عاصمة اليونان الحالية – تعود إلى القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد، وجاءت من استقرار العرب والتجار خاصة حينا من الزمن تلك المدينة(٤٤).

أما في المجال الثقافي بشكل عام، والأدب بشكل خاص، فان أهم تأثير عربي يظهر في الملحمة البيزنطية – ديجيناس اكريتس " Digenis Akritas ". التي تأثرت بقصص ألف ليلة وليلة والأمير ذات الهمة، وتدور أحداث هذه الملحمة حول شخصية ديجيناس اكريتس، الذي قتل سنة ١٧١- ١٧٢هـ / ٧٧٨م في آسيا الصغرى، واصبحت هذه الحادثة منطلقا لنسج حكايات وملاحم وأناشيد أسطورية، وتعد هذه الملحمة مصدرا غنيا لدراسة الصلات الثقافية بين العرب المسلمين والبيزنطيين، وتظهر فيها المفردات والأفكار والتراكيب الأدبية العربية التي تسربت إلى الأدب البيزنطي، لا سيما فكرتي السلام والحرب(٤٥).

---

(43)Roth, k., History of the Byzantin Civilization, (Athenes. 1949), p. 75.

(٤٤) عثمان، المرجع السابق، ج٢، ص٢٦٧.

(٤٥) إبراهيم، نبيلة: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، (القاهرة. د. ت)ص١٩١.

والواقع كانت جالية التجار، أحد أهم الوسائل التي نقلت مثل هذا التأثير الذي يزداد وضوحا عندما " تتخلل الحروب بين الطرفين، عقد الاتفاقيات وتبادل السفارات والتجارة وللأسرى، وانعكست لهذا كلة صور في الأدب الشعبي العربي والبيزنطي"[٤٦].

وجدير بالذكر، إن التجارة لم تكن حصرا على التجار، بل ساهم في التجارة بين الطرفين السفراء بما نقلوه من سلع للاستخدام الشخصي أو التجاري[٤٧]. وكذلك الأسرى العرب المسلمين الذين كان لهم نشاط تجاري وهم في معسكرات الأسر[٤٨]. فكان التأثير أوسع مما حددناه، وتداخل واضح بين كل الذين خرجوا من الدولة العربية الإسلامية إلى الدولة البيزنطية اختيارا أو اضطرارا.

واخيرا نطرح سؤالا، هل استطاعت جالية التجار العرب المسلمين، نشر الدين الإسلامي في بيزنطة، كما هو دورها في مناطق أخرى من العالم؟.

إن شعوب الدولة البيزنطية كانت تدين غالبيتها بالديانة المسيحية، وبشكل متعصب، كونها مقر الديانة المسيحية الشرقية التي اتخذت من القسطنطينية مقرا لها، ولم ينتشر الإسلام مباشرة في الدولة البيزنطية، لان العرب توقفوا في فتوحاتهم عند جبال طوروس، غير أن الذي حدث كان من باب الحوار الديني بين التجار العرب المسلمين والبيزنطيين، والذي اتخذ طابع الجدل، والجدل الديني فيه كثير من الجوانب المهمة، لكن الإسلام سرى واثر على المعتقد الديني البيزنطي، وما الحركة اللايقونية – ضد عباد الصور – إلا انعكاس لذلك، كان للتجار مساهمة في

---

(٤٦) توفيق، كمال عمر: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف، (الإسكندرية، ١٩٦٧)، ص١١.

(٤٧) العبيد، المرجع السابق، ص١١١.

(٤٨) المقدسي، المصدر السابق، ص١٤٧.

ذلك[٤٩]. فضلا عن أن الإسلام كان يفتح ثغرات صغيرة داخل بيزنطة وعلى حدودها، منها على سبيل المثال، إقامة المساجد في العاصمة للمسلمين هناك، والتي أصبحت فيما بعد أساسا هاما في عقيدة بيزنطة بعد عدة قرون، كما انتشر الإسلام عند القوميات الأرمنية والجورجية والأتراك والبلغار، وكان للتجار دور في نشر الإسلام في هذه المناطق.[٥٠]

نلخص مما سبق إن حالية لتجار العرب المسلمين المقيمين والتجار المارين بالدولة البيزنطية، لم يكن دورهم نقل السلع وبيعها كمادة، بل رافق ذلك جوانب حضارية وثقافية مهمة، وتركت أثرا قويا وبشكل متواصل على الدولة البيزنطية.

(٤٩) نبيلة إبراهيم المرجع السابق، ص١٥٤.

(٥٠) جرمانوس، عبد الكريم " الإسلام في بلاد المجر " مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ١٢، (١٩٦٥). ص٢٣٣ وما بعدها.

الدوري، عبدالعزيز " الجغرافيون العرب وروسيا "، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ١٣، (١٩٦٦).